



الجرد الوطني للتراث الثقافي المادي

بطاقة جرد عنصر رقم 6/033

1- تحديد العنصر

- الاسم المتداول للعنصر في المجتمع المحلي المعني

النخلة: المعارف والمهارات والتقاليد والممارسات.

- أسماء أخرى إن وجدت

- النخلة وجمعها « أنخل »
- تزدائت : مفرد النخلة بالبربرية وجمعها تزدابين.

- الإطار الجغرافي لانتشار العنصر

يشكل العنصر تراثا وطنيا مشتركا بين مختلف جهات البلاد، إلا أنه يتركز جغرافيا أكثر بالجنوب التونسي الذي يمثل الإطار الجغرافي الرئيسي للنخيل لتوفر البيئة الطبيعية الملائمة لغراسته. كما ينتشر العنصر بالمجال الجزيري خاصة بجزيرتي جربة وقرقنة. والواحات هي الحدود التي ترسم انتشار النخيل ومن ثمة تمرکز الثقافة المرتبطة به. وهي تمتد على مساحات شاسعة تقدر بحوالي اربعين الف هكتار (40000 هك) تتوزع فيها قرابة 5400000 نخلة. وتتركز بالخصوص في جنوب البلاد في منطقتين رئيسيتين:

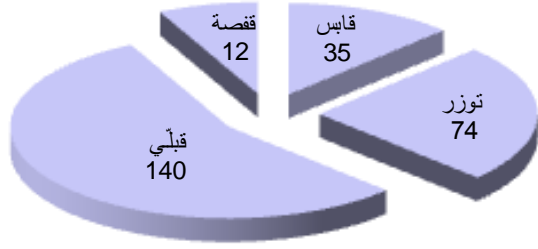
- المنطقة الساحلية : وهي تتألف من واحات قابس وما جاورها (أصل نخيل)، وغابات جزيرة قرقنة من ولاية صفاقس و جزيرة جربة من ولاية مدين.
- المنطقة القارية المتاخمة للصحراء، وتتركب من جهتين متميزتين:

- الجهة الأولى: واحات الجريد (163800 أصل نخيل) وقفصة (214000 أصل نخيل).

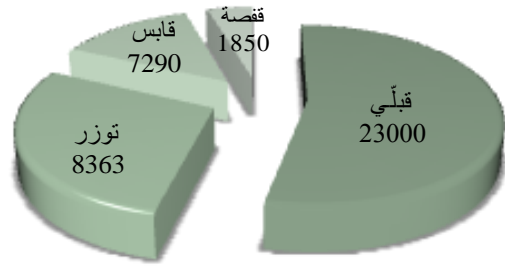
- الجهة الثانية: واحات نزاوة الواقعة اليوم ضمن ولاية قبلي (3000000 أصل نخيل).

وقد تم حصر العنصر في الولايات الأكثر غراسة للنخيل وإنتاجا للتمور، وهي على التوالي قبلي وتوزر وقابس وقفصة، حيث تستأثر بجل ثروات النخلة على جميع الأصعدة. كما تثبت ذلك المؤشرات الإحصائية، وهو ما يعني غزارة المعارف والمهارات والعادات المتعلقة بالنخلة وترسخها بهذه الرقعة الجغرافية الشاسعة من المساحة الجمالية للبلاد التونسية.

ساهمت النخلة في التوطين البشري بهذه الربوع كما تشهد على ذلك المراكز الحضرية التقليدية حول الواحات والتي مازالت تكون أسا ماديا ورمزيا للحياة هناك. وقد شمل الجرد العنصر في امتداداته الجغرافية الجزرية اعتمادا على جزيرتي جربة وقرقنة أين تتجلى أشكال خاصة من المعارف والمهارات والممارسات التقليدية ذات الصلة بالنخلة، بما يكشف عن ثراء العنصر وتنوعه.



مجموع الواحت: 261 واحة



توزيع المساحات حسب الولايات

- مجال أو مجالات انتماء العنصر

يتمظهر العنصر بكل سجلات التراث الثقافي اللامادي وينتمي إلى مجالاته السبعة وهي التقاليد الشفوية وأشكال التعبير الشفوي / الفنون وتقاليد أداء العروض/ الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات/ الثقافة الغذائية التقليدية / الألعاب الشعبية التراثية / المعارف والممارسات المتصلة بالطبيعة و الكون/ المهارات المرتبطة بالحرف التقليدية.

2- وصف العنصر

- الوصف التفصيلي

- النخلة عبر التاريخ

مثلا تتجذر النخلة في باطن الأرض، فهي تمتد موعلة في تاريخ هذه البلاد. وتعدّ إشارة هيرودوت (القرن الخامس قبل الميلاد) أقدم نصّ تاريخي في الموضوع، حيث تعرّض إلى انتشار النخيل وأساليب الريّ المعتمدة في زراعته بالمناطق التي تتطابق مع ما هو معروف اليوم بشط الجريد وقابس إلى الحدود الجزائرية. وفي القرن الأوّل للميلاد انتبه المؤرخ الروماني بلين القديم إلى النظام المستخدم في غراسة النخيل بقابس من خلال التدرج والتناوب مع غراسات أخرى، سيما الرمان والتين. ثمّ تتوالى الأخبار عن النخلة في علاقتها بالوظائف الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تؤمنها.

وتبرز الشواهد الأثرية من جهتها حضور العنصر لدى الفنيقيين واليونانيين، إذ كانت النخلة جزءا من المعجم الزخرفي منذ القرن السابع قبل الميلاد، فكانت تظهر على محامل مختلفة كالفخار والحجارة ومختلف المعادن مثل الذهب والفضة والبرونز، متخذة هيئات شتى مثل الرسومات على النصب الجنائزية. يحيل حضورها هذا على صبغتها المقدسة التي حافظت عليها في الفترة الرومانية، حيث كانت تنتمي إلى طائفة الثمار المقدمة في القرابين على النحو الذي تبيّنه إحدى لوحات الفسيفساء المعروضة بمتحف باردو. وتواصل الأمر مع الفتح الإسلامي، فقد خصّصت النخلة بمنزلة رفيعة بين سائر الأشجار كرّسها القرآن الكريم الذي أتى على ذكرها في أكثر من عشرين آية منها قوله تعالى في سورة مريم: "وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا"، وهو ما يدلّ على قداستها، إذ أنّ تمرها ينتمي إلى ثمار الجنة على غرار التين والزيتون والرمان والعنب. كما تواتر ذكرها في الأحاديث النبوية الشريفة التي جاء في أحدها: "أكرموا عمّكم النخلة، فإنّها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم".

وأشاد الرحّالة والجغرافيون العرب المسلمون الذين زاروا جنوب البلاد التونسية، مثل ابن حوقل والتجاني، بأهمية غراسة النخيل وأساليب العناية به، مؤكّدين على دوره في التوطين والتعمير وفي كلّ مناحي الحياة. ومع التقدّم في الزمن، صارت المعلومات عن النخيل بالبلاد أكثر دقة وغازرة، فبدأت تتوفر الإحصائيات انطلاقا من منتصف القرن التاسع عشر، في عهد أحمد باي، الذي وظّف ضريبة على أشجار النخيل في إطار ما سمي بقانون النخيل والزيتون، حيث أمست النخلة وحدة جبائية.

عرفت غراسة النخيل تحولا كبيرا أثناء الفترة الاستعمارية، وذلك عبر المعمّرين الذين اهتموا بغراسة نخيل الدّقة، لتلبية الحاجيات المتزايدة لهذا الصنف من التمور، خاصة مع التشجيعات التي قدّمتها الإدارة الاستعمارية. منذ ذلك الزمن أصبح هناك قطاعان متميزان للنخيل: قطاع تقليديّ يعتمد الأساليب التقليدية في الغراسة والريّ والتسويق، وقطاع عصريّ يركّز على نخيل الدّقة المعدّ للتصدير باستخدام التقنيات الحديثة والآبار الارتوازية العميقة.

- الأساليب التقليدية للعناية بالنخلة

تجسّد النخلة مثالا حيا للعلاقة العضوية بين التراث اللامادي وبيئته الطبيعية، حيث تحوّلت هذه الشجرة إلى ثقافة متعدّدة ومتكاملة الأبعاد تبدأ ممّا هو تقنيّ ملموس لتعدو في نهاية المطاف تجسيدا رمزيا وعالميا روحيا يعبر عن هوية الجماعات والمجموعات المرتبطة بها.

ولقد طوّرت الجماعات والمجموعات والأفراد بالمناطق الواحية نسيجا من المعارف والمهارات في التعامل مع النخلة بدء من غراستها بترك مسافة معلومة بين النخلة والأخرى لتأمين الهواء والغذاء لها جميعا وتقليب الأرض. ومن هذه المعارف ما يتّصل بالتلقيح في فصل الربيع باستخدام "الذكار" الذي تنتثر منه جسيمات دقيقة تمكّن من إخصاب الطلع الذي هو التمر في حالته الجنينية أو ما يعرف بالبرق قبل أن يصير بلحا. ومنها ما يندرج ضمن السقي من خلال منظومة تقنية دقيقة تعتمد مبدأ التناوب في توزيع مياه الريّ عبر شبكة من الجداول التي تخترق كلّ غابات النخيل، بحيث يأخذ كلّ حصّته من المياه حسب مساحة غابة نخيله اعتمادا على ساعة مائية تسمّى "القادوس" ينسرب منها الماء قطرة قطرة، وهو نظام يعود إلى الفقيه ابن الشباط التوزري الذي عاش خلال القرن 7 هـ / 13 م (618 هـ - 681 هـ / 1221 م - 1282 م).

وتحظى النخلة على مدى السنة بالرعاية عبر تنظيفها وتقليمها وإزالة السلاء والأجزاء التي جفّت منها كالكرب والسعف والعذوق الجافة. ثم تأتي مرحلة "التدريج" بمعنى إحداث ما يشبه الدرج بها حتى يسهل صعود أعذاقها. وعند حلول موسم الجني أو "القطع" ينظف الفلاح من جديد جوانب النخلة ويحرص على قص العراجين وإنزالها إلى أسفل بالحبال التي كانت تصنع من ليفها. أمّا "حجمان" النخلة، فهو شكل آخر من أشكال العناية بها أو لنقل تحضيرها لها للعب وظيفية أخرى، فبعد أن كانت شجرة تمر تصبح مدرّة للعصير أو ما يعرف بشراب "اللاقي".

- معارف ومهارات النخلة

تتوزّع المعارف والمهارات التقليدية على مجالات مختلفة وتتخذ مظاهر عدّة تعكس مدى التصاق تراث النخلة بالحياة، حتى كأنهما صنوان لا يفترقان. فعلى الصعيد الغذائي، تطورت أشكال مختلفة من الاستخدامات المبنية على معارف متميّزة بخصائص التمر وطرق معالجته.

تقليديا، يؤكل التمر وحده أو مع اللبن أو يمزج مع عناصر غذائية ليكون معها أكالات خاصة، حيث يدخل في إعداد أصناف معينة من الأكالات التقليدية مثل طبق الرفيسة المكوّن من نوع من رغيف الخبز مفتتا مع زيت الزيتون والزبدة وأحيانا العسل، دون أن ننسى "المرفوسه" التي هي عبارة عن كسكسي مع تمر يضاف إليهما قليل من الشحم ويوضع في "الكسكاس" مع التمر ثم يعجن جيدا بالزبدة. أمّا بالنسبة إلى الحلويات التقليدية المعتمدة على التمر، فيعدّ المقرّوض أبرزها.

ومن النخيل يستخلص "اللاقي"، وهو شراب عذب المذاق مستخرج من "الجمار" الذي هو قلب النخلة، يشرب منفردا باردا خاصة في شهر رمضان سواء عند الإفطار أو عند الإمساك أو يمزج مع أكلة "البسيصة". ومن مشتقاته الخلّ و"الربّ" الذي هو عصارة المشروب بعد طبخه يستهلك مع طبق "العيش" أو العصيدة. كما يخمر اللاقي ليصبح مسكرا شديدا القوة يتناوله الندماء في مجالس خاصة.

ومن مظاهر الاستخدام الغذائي، توظيف النساء لنويات النخلة في إعداد القهوة. فبعد فصلها عن التمر وغسلها جيّدا وتجفيفها يتمّ قلبها ثمّ رحيها بما يمكن من الحصول على مسحوق يضاف إلى القهوة ليكثّف نكهتها.

وتعدّ الأساليب التقليدية في الخزن والحفظ من أهمّ المعارف والمهارات المتعلقة بالنخلة على الصعيد الغذائي، فمن ذلك نذكر تخزين "المفصي" و"التفليت"، حيث تعتمد المرأة إلى نزع نويات التمر الجيد بعد أن ينضج قبل إخضاعه للتجفيف تحت أشعة الشمس. وبعد تنقيته من الشوائب، تحرص على خزن أجوده في جرار

كبيرة الحجم مصحوبا بشيء من الإكليل و الزعتر.
نشير كذلك إلى تخزين "الشدّاخ" الذي يستخرج من الرطب الأكثر نضجا بعد تحفيفه طبيعياً مدة يوم أو يومين دون أن تنزع عن حباته النوى، ثم يوضع في "دنانات" حملت اسم هذا الصنف "جرّة شدّاخ". وبعد أيام قليلة تغلو سطح "الشدّاخ" عسيلة حامضة المذاق.

تدخل كلّ أجزاء النخلة تقريبا ضمن استخدام حرفي خاصّ سواء للأغراض المنزلية أو الزراعية أو الترفيهية أو الأنشطة المتّصلة بالبحر أو غيرها. فمن خشب النخيل تصنع الأبواب و النوافذ وأسقف المنازل، ومنه تجهز القناطر بأنواعها في إطار العمارة التقليدية المحليّة على النحو الذي نجده مثلا بمدن وقرى توزر ونفطة ومطماطة، وتهيأ حظيرة الغنم (الزربية). ومن "ليف" النخيل تجدل الحبال التي لا غنى عنها في تعاطي عديد الأنشطة على غرار الزراعة والصيد البحري واستخراج الماء من الآبار. ومنه يُصفر "القيد" أو السدلّ لتسلق النخلة، كما يستعمل الليف كمصفاة لتصفية مياه الآبار و"اللاقمي". أما سعف النخيل فقد منح الخامات الطبيعية لإزهار طائفة كاملة من المنتجات الحرفية لعلّ أهمّها السلال والمظلات ومحافظ اليد النسائية وأنواع البسط (الحصير، السجاد...) التي تزدان بها الأسواق الشعبية بقابس والحامّة على وجه التخصيص.

كما يستعمل جريد النخيل في تهيئة الأسقف ورفع جدران الكوخ أو "الكيب" الذي يحتمي به الفلاح من لافحة الهجير، وهو السياج الذي يرسم حدود المستغلات ويحميها من الرياح ومن زحف الرمال، ويمثّل المكوّن الرئيسي لخلايا الشرفيّة بجزيرة قرقنة التي وظّفته كذلك في تشييد الهودج أو "الجحفة" خلال حفلات الزفاف، وتوظفه المرأة بجزيرة قرقنة كمفرش لتجفيف التين وتحويله إلى "شريحة". ويضاف الجريد إلى مخلفات الجني الأخرى (العراجين، الكرب...) ليكون بعد الرحي، سمادا عضويا يسمّى "الكمبوست". وهناك اليوم اهتمام متزايد بهذا الاستخدام في إطار مشاريع شبابية مصنفة ضمن المهن الخضراء.

وتندرج مثل هذه المبادرات ضمن اتّجاه الابتكار والإبداع الذي بات يعرفه العنصر، بفضل انخراط فاعلين اجتماعيين غير ممارسين له بصورة مباشرة، لكنهم صاروا مهتمّين به، مثل المعاهد العليا للفنون والحرف وجمعيات المجتمع المدني على غرار جمعية نخوة بالمطوية التي تحتضن عديد الحرفيّات، بصدد تطوير مهارتها ومزيد توظيف مخلفات النخلة في عديد الابتكارات. فعلاوة على مهارتهن في تطويع سعف النخيل في صنع القفّة والمروحة وغيرها، طوّعن العراجين وخاصة ما يسمّى "الطرطاف" بمعنى يد العرجون في نسج الشباك الفخاخيّة وتسمّى محلياً "درينة" وصناعة عديد التحف والأطباق واستغلال غلاف "الذكار" أو ما يسمّى "العلاش" لصنع تحف ومنتجات لها استعمالات محدثة كسلال ومحامل لتغليف المواد الغذائية أو مواد تجميليّة وغيرها. أمّا العذق أو العرجون فكانت النسوة تستعمله في كنس منازلهن، بينما يحزم بأعواده أكوام الخضر أو الأعلاف التي يجمعها الفلاح من مستغلاته كما أدمجه البحار في نسج "الدرينة". في حين توظف المرأة السلاء أو شوك النخلة في تثبيت خيوط الصوف ورفصها فقط عند حياكة الحولي أو الوزرة وهي ألبسة (ألحفة) صوفية رجالية تنسج بخيوط رقيقة، ويستعمل لشدّ لقاح (الذكار) شجر التين أو حماية "الدرينة" في البحر من اعتداءات الدلفين.

كما وظف أهالي الواحات والجزر الكرب، وهو الأصل العريض للسعف بعدما يببس، ويسمّى محلياً "كرناف"، في عديد الأغراض، منها الحطب لتغذية المواقد. وهو الأداة التي يستعملها الفلاح عند الحصاد، فيضرب بها أكداس القمح أو الشعير حتى تفصل حباتها عن التبن، وهو أيضا الأداة التي تستعملها المرأة عند غسل الصوف لتخليصه من الأوساخ ("الحسك") والشوائب العالقة به، واستعملته المرأة الجزيريّة لدقّ الأخطبوط إعدادا لطهيه.

- الطقوس والممارسات الاجتماعية

يرى سكان الواحات والجزر في النخلة شجرة مباركة ومصدر خير ونماء وحياة يترجمه المأثور الشعبي "بلاد النخلة ما تخلى"، أي أنه حيثما تكون النخلة لا يمكن أن يسود الخلاء، وذلك كناية عن أهميّة النخيل في التعمير. وبالتالي، فإنّها مدرجة ضمن مجال المقدّس، مع ما يعني ذلك من الاعتقاد والتوقير والتكريم، وهو ما يبرز في سحب اسمها على عديد الفضاءات المقدّسة على غرار مزاراة "للأدقّة" الكائنة ببلدة حامّة الجريد. وهي عبارة عن موضع صغير مؤلّف من جذعي نخلتين متلاصقتين تبدو عليهما آثار

الحروق النَّاجمة عن إيقاد الشموع. كما يستخدم جريد النخيل لإكساء المؤسسة الدينية حلّة خضراء بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.

وعند الاحتفال بعاشوراء، يزيّن "البوسعدية"، وهو شخصيّة مرحة راقصة بلباس مزركش بهيج الألوان، بسعف النّخيل. بينما يقصّ الفتيان والفتيات عصا من الجريد ويشقون أعلاها ليضعوا في وسطها خرقة أو قليلا من الشحم المشتعل.

تلازم النخلة الإنسان كظله الأنيب من المهد إلى اللحد مقترنة بأهمّ مراحل حياته وأحداثها، عبر وظيفتها الرمزية والطقسية ضمن دورة الحياة، فهي حاضرة في الولادة، إذ كثيرا ما يكون التمر أول غذاء يتمرنّ عليه المولود الجديد في إطار طقس التحنيك. كما تحضر في الزواج من خلال تزيين منصّة العروسين على هيئة قوس وإعداد هودج العروس من جريد النخيل وطقس "العلاقة"، نسبة إلى سلّة من سعف النخيل (علاقة) تجهّز بمواد الزينة والتجميل والعمود لترسل إلى العروس في موكب احتفالي قبل الزفاف. كما يبرز العنصر عند الموت حيث يوضع جريد النخيل على القبر.

ومن الممارسات المتّصلة بالنخلة تلك التي تظهر في الألعاب الشعبية، مثل لعبة "الخرقة" الشبيهة بلعبة الشطرنج أين يتمّ فيها اعتماد نوى التمر، ولعبة "كرة المعقاف" المعتمدة على الكرناف والتي هي شبيهة بلعبة "الهوكي الجليديّة".

تتجاوز النخلة وظيفتها النفعيّة، لتصبح كأننا مفعما بالعاطفة، بما يثير الفلاح، حيث يخاطبها قائلا: "يا دقلة الباهية والشاهية... عزقة وطلّة وسعي الجلّة" (فواضل الجمل المستخدمة كسماد)، فتجيبه ذليلة مطواعة ممتنة بقولها: "يسقيني مولاى حتى وإن كان أعمى". وهي مصدر للإلهام بالمجال الجزيري حيث تشبّه يد العروس المخضبة بالحناء "بالشدّاخ" لمذاقه الطيب، أما اليد التي تقتقد إلى النعومة فتشبهه "بالكرناف". وتبرز قوّة المعتقد وتأثيره في الحياة اليوميّة من خلال النهي على ضرب الفتاة بعرجون النخيل لأنّ ذلك يؤدّي إلى عنوستها، أمّا ضرب الشاة بالعرجون فيتسبّب في وفاتها، كما يعتقد أنّ اقتلاع النخلة من "الجنان" أو البستان الملحق بالمنزل يؤدّي إلى وفاة أحد أفراد العائلة.

وفي السياق نفسه من التفاعل العاطفي وما يحيل عليه من رمزيات، تستحضر قصّة الفلاح الذي قال لنخلته مازحا: "ما عدشت نسقيك"، فضحكت. وأضاف: "ما عدشت نخدمك"، فضحكت مرة أخرى، ثمّ قال لها: "ما عدشت نجيك"، عندها بكت. وبهذا فإنّ النخلة مستعدّة للصبر على فقدان الماء، بما يعني هلاكها، غير أنّها غير قادرة على فراق صاحبها. وتحفل الثقافة الشفوية بهذا الجنس من القصص ذات الدلالات الكثيفة. وتحتضن عديد الواحات عادة استقبال فصل الربيع، حيث تتوجّه إليها العائلات للجلوس تحت ظلال النخيل و التمتع بسحر الطبيعة. وثمة اليوم اهتمام متزايد بالاستفادة من الواحات للأغراض السياحية والترفيهية والثقافية، كما تشهد على ذلك المنتزهات الواحية والأنشطة الثقافية التي تقع في إطارها.

- العناصر الماديّة واللاماديّة المصاحبة للممارسة أو المهيكلة لها (الفضاء/ الأزياء/ الأدوات...)

يلتصق العنصر بالنخلة التي كثيرا ما يكون حضورها شرطا لممارسته، من ذلك أنّ المهارات المتعلقة بالعبادة بالنخلة مشروطة بتوفّر واحة يتمّ استغلالها، كما يقتضي ذلك امتلاك بعض الأدوات التقليدية كالمنجل الذي يستعمل لقصّ الجريد و"المحسّة" وهي أداة شبيهة بالمنجل ولكنها أصغر منه وأقلّ انحناء و"العنلة" وهي قطعة من الحديد المتين مذبّبة الأطراف تستعمل لجرد النخلة ولفلق خشبها. و"الحجّامة" وهي أداة شبيهة بالسكين تستعمل لحلق قلب النخلة واستدراش مشروبها دون أن ننسى الجرّة التي تثبت في قلب النخلة الذي يسمّى "عروسه" لجمع ما ينزل منها من مشروب. وتستعمل القوارب لنقل الجريد وعرزه بالبحر.

أمّا بعض المظاهر الأخرى، مثل العادات المطبخية، فهي رهينة توفّر التمر. في حين تحتاج بعض الطقوس المتصلة بالنخلة إلى فضاءات خاصة، كالمزارات المقدسة الخاصة بالأولياء أو ما يعرف بالزوايا، أو الأندراج ضمن مناسبات خاصة على النحو الذي يتجلى في ممارسة بعض الأغاني أو الطقوس المتصلة بالنخلة. وهنا يصبح العنصر شديد الارتباط بعناصر أخرى في إطار من التكامل.

- الممارسات العرفية التي تنظم أو تمنع الوصول إلى العنصر

لا توجد ممارسات عرفية تمنع الوصول إلى هذا العنصر، فهو يتسم بالانفتاح وقابليته لأن يكون إطار تفاعل بين حملته والجماعات والمجموعات الأخرى التي تودّ الاطلاع عليه و المشاركة في ممارسته، بما يجعله أداة تواصل بين المناطق الجغرافية والمجموعات البشرية المختلفة والمتباعدة.

- كيفية التعلّم وطرائق النشر بين الأعضاء والتمرير للنّاشئة

ينقل العنصر من الآباء إلى البنين كإرث ثقافيّ مشترك في إطار المجموعات المحليّة المعنية. ويطوّر الشبان والأطفال صلتهم بالتراث الثقافي اللاماديّ الخاصّ بالنخلة مكتسبين المعرفة بقيمه المتعدّدة اعتماداً على التزام جيلي الشيوخ والكهول الذين يوفّرون عبر ممارساتهم إطاراً تعليمياً مرجعياً ناجحاً في استمرار هذه الذاكرة الجماعيّة.

وبالتوازي مع السلسلة التقليدية للتناقل، ثمة سلسلة حديثة بصدد الانتشار، وتشمل الهياكل الجديدة التي باتت تتخرط أكثر فأكثر في تناقل العنصر وتمريره في شتّى تظاهراته. وهي تشمل هيئات رسميّة ممثّلة للدولة مثل مراكز البحث المختصّة والجامعات والمتاحف الإثنوغرافية والإيكولوجية.

كما تشمل أطر غير حكومية تعكس التزام المجتمع المدني مثل الجمعيات والمنظمات والمهرجانات وورشات التوعية والتكوين والإنترنت بوجه عام وشبكات التواصل الاجتماعي بوجه خاصّ.

3- الفاعلون المعنيون بالعنصر

- حملة العنصر من الممارسين له بشكل مباشر

- فلاّحو الواحات بجهات قابس وقبليّ وتوزر وقفصة وجزيرتي جربة وقرقنة الذين يستغلّون مقاطع (غابات نخيل) و يعملون فيها باستمرار سواء بصفتهم مالكين أو متسوّغين. هناك تصنيف لمختلف الفئات المهنية المتدخّلة في النخلة: الملاك: صاحب الواحة/ الخمّاس: الذي يتعهّد برعاية النخيل حتى مرحلة الإنتاج مقابل الخمس/ الفيتال: يوفّر الغبار للواحة، ويتولى قضاء بعض الأعمال الأخرى، بما في ذلك الحراسة/ القطّاع: العامل الذي يتسلّق النخلة ويقطع العراجين/ الرقاب: يساعد القطّاع ويأخذ عنه العراجين/ المدّاد: يسلم بدوره العرجون من الرقاب قبل تمريره/ البطّاح: يعمل في البطحاء المخصّصة لقصّ الشماريخ وترصيفها. ثمة أيضاً تجار التّمور، سيما أولئك الذين ينتصبون في الأسواق الأسبوعية، والشركات والمجمعات المهنية التي تهتمّ بالتّمور من حيث الخزن والحفظ والتحويل.

كما نجد الحرفيين الذين يعتمدون على بعض أجزاء النخلة أو منتجاتها. تضاف إليهم مختلف الجماعات والمجموعات التي دأبت على ممارسة بعض العادات والطقوس المتصلة بالنخلة، وبصفة خاصّة من النساء اللواتي يمثّلن حماة ذاكرة النخلة والحارسات الأمينات اللاتي يؤمّن تناقلها.

- مشاركون آخرون

تتضاف إلى الفئات المشار إليها شرائح مهنية واجتماعية أخرى تظهر في مناسبات اجتماعية ودينية أو مراحل معيّنة من نموّ ثمار النخلة مثل الأطفال والنساء الذين يتكثّف حضورهم في الواحات إثناء موسم جني الصّابة، علاوة على بائعي شراب "اللاقي" والعاملين في البحر المعتمدين على جريد النخيل وأخشابه وأصحاب المنزّهات المنتصبّة في الواحات.

- منظمات غير حكوميّة/ المجتمع المدني

- جمعية صيانة المدينة والواحة بقابس.

- جمعية حماية واحة شنني بقابس.

- جمعية صيانة مدينة توزر.

- جمعية الكندي للموسيقى و للبحث في الموسيقى.
- جمعية صيانة قابس المدينة.
- جمعية "على خاطر يا قابس".
- جمعية المحافظة على المناطق الرطبة بالجنوب التونسي.
- جمعية أشكال وألوان واحية.
- جمعية مهرجان الألعاب الشعبية الصحراوية.
- جمعية "نخلة" بدوز.
- جمعية صيانة قبلي القديمة وكلّ الجمعيات المنتسبة في الواحات والمنظمة لعمليات الرّي.
- المتحف الأثري والتقليدي سيدي بن عيسى بمدينة توزر.
- متحف جنّة عدن بتوزر Eden palm Tozeur.
- جمعية التصرف المستديم بواحة رأس العين بنقطة.
- جمعية النخيل للتراث القرقي.
- متحف وإقامة للتكوين والملتقيات بتونس- قرقنة.
- جمعية صيانة المدينة بقفصة.
- جمعية صيانة المدينة بجربة.

- هيئات رسمية

- وزارة الفلاحة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وزارة الشؤون الثقافية، وزارة السياحة، وزارة الدفاع الوطني (ديوان تنمية رجين معتوق).
- ولاية قابس و ولاية قبلي و ولاية توزر و ولاية مدينين و ولاية صفاقس.
- بلديات واحات قابس و بلدية قرقنة و بلدية جربة حومة السوق.
- المندوبيات الجهوية للتنمية الفلاحية بتوزر و قبلي و قابس و مدينين و صفاقس.
- المندوبيات الجهوية للشؤون الثقافية بتوزر و قبلي و قابس و مدينين و صفاقس.
- معهد المناطق القاحلة بمدينين.
- معهد البحوث الزراعية.
- دور الثقافة والشباب.
- المركز الفني للتمور/ قبلي.
- المركز الجهوي للبحوث في الفلاحة الواحية بدقاش من ولاية توزر.
- ديوان تنمية رجين معتوق.
- الديوان الوطني للصناعات التقليدية.
- معاهد الفنون والحرف.
- كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس.

4- مدى قابلية العنصر للاستمرار: العراقيل والتهديدات

- يعاني العنصر من عديد التهديدات والعراقيل:
- إهمال الفلاحين لمستغلاتهم أو لمقاطعهم وعزوف عدد كبير من الشباب عن العمل الفلاحي يمثل مشكلا أساسيا يهدد استمرارية العنصر.
- تشتت الملكية بسبب الإرث.
- الأمراض التي تصيب النخلة.
- ضعف الإمكانيات المادية للعديد من أصحاب المستغلات داخل الواحة.
- تطور المنافسة على الموارد المائية من طرف قطاعات أخرى (الصناعة، مياه الشرب...).
- منافسة المناطق السياحية للواحات.

- مشكل الزحف العمراني داخل الواحات: ويتمثل في الزحف التدريجي للبناء على مستوى خطوط التلاقي بين النسيج العمراني والواحة.
- ما تمارسه التقنيات الحديثة من إغراءات تدفع إلى التخلي عن المعارف والمهارات التقليدية في زراعة النخيل.
- تقطع سلسلة تمرير العنصر إلى الناشئة بفعل عزوف الكثير عن نقل هذا الموروث إلى أبنائهم و أحفادهم، مع عدم وجود بدائل كافية وناجعة تؤمن هذه الوظيفة على الوجه الأكمل في كل الجهات.
- استثناء بعض الجهات، على غرار جزيرتي قرقنة و جربة من الاجراءات والامتيازات الموجهة للنخلة.

5- برامج التثمين وإجراءات الصّون

- لا ينفصل صون العنصر عن صون النخلة في حدّ ذاتها، إذ يعدّ استمرارها شرطا لاستدامة التراث اللامادي المتّصل بها. من التدخلات المنجزة بهدف تثمين العنصر والحد من المشاكل التي يعاني منها نذكر ما يلي:
- صدور القانون عدد 73 لسنة 2008 المؤرّخ في 2 ديسمبر و المتعلق بالمحافظة على أشجار النخيل ومعاينة كل من يضرّ بها سواء بالقلع أو بالبتر أو بتحويل موارثها الجيني أو غيره.
- بعث دائرة جهوية للوكالة العقارية الفلاحية بقابس وتدخلها في 27 واحة على مساحة 4496 هك أي ما يمثل 66 % من المساحة الجمالية للواحات.
- إحداث ديوان تنمية رجم معتوق بموجب قانون عدد 145 لسنة 1989 والذي تتمثل مهمّته في بعث 2160 هكتار من الواحات في أراض قاحلة مع مرافق سكنية واجتماعية توزّع في شكل مقاسم فلاحية بحساب 1,5 هكتار للمقسم الواحد. ومن أهمّ أهدافه تخفيف الضغط على الواحات القديمة بجهتي قبلي وتوزر وزيادة الإنتاج الفلاحي من التمور، فضلا عن إنشاء حزام أخضر لمقاومة زحف الرمال.
- وقد أنجز المشروع على ثلاث مراحل أساسية بدأت بمرحلة تجريبية بين 1984-1987 تمّ خلالها تهيئة و غراسة 500 هكتار من واحات النخيل، تلتها مرحلة ثانية بين 1990-2001 مكنت من إحداث مساحة واحة في حدود 1152 هكتار تمّ توزيعها على عدد من العائلات بمعدّل 1.5 هكتار (159 نخلة منها 139 من صنف الذقلة) مع مسكن اجتماعي. أما خلال المرحلة الثالثة والأخيرة الممتدة بين 2002-2015، فقد أمكن إحداث 1008 هكتار من واحات النخيل، أي في حدود 696 مقسما، وبناء قرينتين متكاملتين تضمّان 531 مسكنا.
- مواصلة تدخل الوكالة العقارية الفلاحية ببقية الواحات (21 واحة على مساحة 2345 هك).
- بعث مشروع استصلاح واحات وذرف و المطوية على مساحة 100 هك بقيمة 130 الف دينار.
- إعداد برنامج تنشيط للعمل الفلاحي بواحة الحامة و إنجازه سنة 2002 من طرف المندوبية الجهوية للتنمية الفلاحية بقابس على مساحة 80 هكتار وتمّ خلاله تسوية الأرض وقلع 4000 نخلة مسنة و عديمة الإنتاج و غراسة 1200 أصل نخيل ذات مردودية اقتصادية من نوع الكنتة.
- تبني المجمع المهني المشترك للغلال بالتعاون مع المندوبية الجهوية للتنمية الفلاحية بقابس والمجلس الجهوي لولاية قابس مشروع استصلاح الواحات بين سنتي 2003-2005، حيث تسنّى تنظيف 140 هكتار وقلع 10.000 نخلة مسنة و عديمة الإنتاج بواحات المطوية وقابس والحامة وكذلك غراسة 3000 نخلة ذات مردودية اقتصادية.
- بعث عديد المهرجانات التي تعنى بثقافة النخلة، مثل مهرجان الواحات بتوزر ومهرجان التمور بقبلي.
- تكثيف البحوث العلمية حول النخلة في إطار الجامعات والمعاهد والمراكز المختصة بالبحوث الزراعية.
- إنجاز عدة دراسات ميدانية حول المعارف والممارسات التقليدية المرتبطة بالنخلة، سيما في إطار دراسات الماجستير والدكتوراه في اختصاص علوم التراث.
- تحويل بعض الواحات إلى فضاءات ثقافية في إطار مشاريع نموذجية للتعريف بثقافة النخيل بالبلاد التونسية.
- تشخيص تشاركي للتنوع الجيني لنخلة التمر بجزر قرقنة من 29 أوت إلى 04 سبتمبر 2004 ضمن برنامج نخلة التمر بالمغرب.
- إدماج النخلة بجزر قرقنة ضمن محاور البحوث التي أنجزها مركز سرسينا للبحوث في الجزر المتوسطية.



صورة 2: فرز التمور



صورة 1: جني المحاصيل



صورة 3 : تنوع التّمور



صورة 5: الهودج



صورة 4: "الشرفية" من سعف النخيل



صورة 7: سقف منزل من خشب النخيل



صورة 6: إعداد "الرُبّ"



صورة 8: صبغ سعف النخيل



صورة 10: الاستخدامات الحرفية للنخلة



صورة 9: استعمال النخيل كمحامل للرسوم الفنية

7- هوية الشخص المرجعية المعتمدة في استيقاء البيانات

اعتمد الجرد مقارنة تشاركية كانت فيها الجماعات والمجموعات المحلية هي نفسها جامعة المادة ومصدرا لها، وهو ما سمح بالحصول على جم من البيانات التي اعتمدت في مجملها على عدد من كبار السن من حملة ذاكرة العنصر في مختلف تمظهراته وأبعاده، فضلا عن ممثلين لجيل الشباب الذين لهم تمثّل خاص للعنصر. كما كان الاعتماد على ثلّة من الجمعيات ونشطاء المجتمع المدني. وتحدّد القائمة التالية أهمّ الشخص المرجعية التي تمّ الاستناد إليها:

- محمد عبد الرحيم: رئيس جمعية صيانة المدينة و الواحة بقابس.
- علي شمس الدين: رئيس جمعية الكندي للموسيقى و البحث في الموسيقى.
- محمد البدري: رئيس جمعية صيانة مدينة قابس.
- عبد المجيد محمد: ممثلا عن جمعية "على خاطر يا قابس".
- صلاح الدين بالصادق: رئيس جمعية المحافظة على المناطق الرطبة بالجنوب التونسي.
- المبروك جابري: رئيس جمعية أشكال وألوان واحية.
- نزيهة الدريدي: رئيسة جمعية "نخوة" بالمطوية.
- السيد الهادي فريجة: مؤسس مهرجان الألعاب الشعبية الصحراوية، 98232162.
- السيد أحمد عبد الدايم: رئيس جمعية "نخلة" بدوز.
- السيد ماهر الصغيرون: رئيس جمعية صيانة قبلي القديمة، 97781193.
- هدى التواتي: مديرة دار الشباب المتنقلة 2 شارع محمد على.
- سفيان بن عون: أستاذ لغة عربية وكاتب روائي وقصاص.
- فلأحون من قابس: الصادق بن علي الحاجي 55 سنة، مبروك بن محمد كادي 72 سنة، رضا بن عمر بن مفتاح 64 سنة، ياسين التركي 44 سنة، مكرم سعيد 39 سنة، سمير قايد 50 سنة، فتحي اسماعيل 64 سنة، على القماطي 85 سنة، نزيهة الدريدي 45 سنة.
- محمد الهادي بن علي بن الهادي شريقي مولود سنة 1945، الهاتف 26485786، صاحب ضيعة شنشاني بدشرة محارب بحامة الجريد توزر.

- ناجي الحمادي يعمل قطاع بالواحة، تاريخ الولادة 1985/04/07.

- السيد عبد الرزاق بن عيش حرفي في الصناعات التقليدية ورثها أب عن جد منذ 1810، شارك في معارض بالجزائر والمغرب وله شهادت مشاركة في ذلك، تاريخ الولادة 10 أفريل 1951، الهاتف 22374534.

- السيد عمار الشكباني شهر عم ابراهيم متفقد تعليم متقاعد والمشرف على متحف جنّة عدن. الأنسة صفاء حمادة، دليل سياحي، الهاتف 50618701.

- السيد يوسف لمصية عضو بجمعية صيانة مدينة توزر، الهاتف 54632675.

- السيدة سعاد خشيم محافظة المتحف الأثري والتقليدي سيدي عيسى، الهاتف 97091083.

- السيد ميلود بوليفة فلاح متقاعد تاريخ الولادة 1956/10/26، الهاتف 27482758.

- السيد محمد رمضان بيوض، مهندس فلاح متقاعد ومعتمد سابقا، تاريخ الولادة 1950/06/24، الهاتف 98450352.

- السيد المندوب الجهوي للتنمية الفلاحية بتوزر، الهاتف 97866030.

- السيد حافظ جروود رئيس خلية الإرشاد الفلاحي بنفطة ورئيس جمعية التصرف المستديم بواحة رأس العين بنفطة، الهاتف 96515202 / 29844327.

- السيد لطفي زكري كاتب عام جمعية التواصل للرياضة والثقافة والتنمية وعضو بلجنة مهرجان الشعر الدولي، تاريخ الولادة 1965/07/05، الهاتف 97540926.

- السيد عبد الرزاق الصديق حرفي في الصناعات التقليدية، تاريخ الولادة 1956 / 06/21، الهاتف 54017716.

- السيد شاكر يردولة، مؤسس مركز التمور وناشط بالمجتمع المدني ويحمل معارف حول النخلة، الهاتف 23450327.

- السيد عبد الحميد الفهري أستاذ تعليم عال ومؤسس مركز سرسينا للبحوث في الجزر المتوسطية صفاقس- قرقنة.

- السيد توفيق دالي/ جمعية دار الجماعة/ مزاوية جربة.

8- المصادر والمراجع المكتوبة

- Baroin (C.- Prêt), « Le palmier de Borkou, végétal social total », *Journal des Africanistes*, LXIII (I), pp. 5-20, 1993.
- Battesti (V.), « Les oasis du Jérid, des ressources réelles et idéelles », in Picouët M, Sghaier M, Genin D. Abaab A, Guillaume H, 2004.
- Battesti, (V.), *Les oasis du Jérid : des révolutions permanentes ?*, Cirad- Sar Gridao, Montpellier, 1997.
- Battesti (V.), « Les sens des lieux, Espaces et pratiques dans les palmeraies du Jérid (Sud-ouest tunisien) », *JATBA, revue d'ethnobiologie*, XLI, n°19- 44, 1999.
- Bechraoui (A.), *La vie rurale dans Les oasis de Gabès (Tunisie)*, Publication de la Faculté des Lettres de Tunis, 1980.
- Ben Mahmoud (J.), « Zonage des oasis du Jérid », *Séminaire: Agriculture oasisienne*, 1-2-3 février 1994, Degache- Tunisie, 1994.
- Ben Saad (A.), « La déprise Agricole dans les oasis et ses effets sur la durabilité de l'écosystème oasisiens. cas de l'oasis du Grand- Gabès », *Revue des Régions Arides*, actes du séminaire d'aridoculture, Institut des Régions Arides, Djerba 22-25-11-2004.

- Conforti, *Les systèmes de production oasiens: Le Cas des oasis du Jérid*, édition de l'Agronomie des oasis, 2004.
- Ferry (M.) et Bedrani (S.), *Analyse de données agro- économiques des oasis de différents pays africains*, éditions : agroéconomie des oasis, station de recherche sur le palmier et les systèmes de production en zone aride, El Elche, Espagne 2004.
- Kassah (A.), *Le Marzougui, le touriste et la degla*, Peuples Méditerranéens, Monde arabe, Le retour du local, (72-73), 1995.
- Kassah (A.), « Tozeur et son oasis : problèmes d'aménagement d'une ville oasienne », *Les cahiers d'Urbama*, n°8, 1993.
- Kilani (M.), *La construction de la mémoire, Le lignage et la sainteté dans l'oasis d'El ksar*. Genève, Ed. Labor et Fides, coll. Religions en perspective, 1992.
- Louis (A.), « Aux Nefzaoua le palmier et les hommes de semi-nomadisme à la sédentarisation », *IBLA*, Tunis 1968.
- Mamou (A.), « Développement des zones sahariennes en Tunisie et son incidence sur les ressources en eau », *Les oasis au Maghreb, mise en valeur et développement. Actes du séminaire Gabès*, 4-5-6 novembre 1994, *Cahiers du Cérès*, Tunis, vol 12, 1995.
- Marouf (N.), *Lecture de l'espace oasien*, Sindbad, collection Hommes et sociétés, Paris 1980
- Munier (P.), *Le palmier-dattier*, Maisonneuve et Larose, Techniques agricoles et Productions tropicales, n° XXIV, Paris, 1973.
- Pline, *Histoire naturelle* ; Texte, traduit et commenté par Jehan Desanges, Les belles lettres, Paris, 1980.
- Rétaillé (D.), *Les oasis dans une géographie méridienne Sahara-Sahel*, *Cahiers géographiques de Rouen*, 1986.
- Rhouma (A.), *Le palmier dattier en Tunisie, Le patrimoine génétique. Tunis, Arabesques*, Inra Tunisie, Gridao France, Pnud/ FAO, vol1, 1994.
- Richter (M.), « Les oasis du Maghreb : typologie et problèmes agro-écologiques », *Les oasis au Maghreb. Mise en valeur et développement*, actes du séminaire, Gabès, 4, 5 et 6 novembre 1994, Tunis, *Cahiers du Cérès*, vol12, 1995.
- Romdhane (A.), « Système de Production et Contraintes de développement dans les Oasis Littorales. Cas des oasis du gouvernorat de Gabès » *Revue des Régions Arides*, actes du séminaire d'aridoculture, Institut des Régions Arides, Djerba 22-25 novembre 2004, 2004.
- Toutain (G.), *L'agriculture paysanne oasienne et le marché mondial*, Publication du groupe de recherche et d'information pour le développement de l'agriculture d'oasis agroéconomie des oasis, vol 11, 2004.

- ابن حوقل (أبو القاسم) : *صورة الأرض*، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979.
- البقلوطي (الناصر): "عمران قابس القديمة وعمارتها التقليدية"، *مجلة افريقية*، عدد 10، تونس 1988.
- التجاني (محمد بن أحمد): *رحلة التجاني*، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1981.

- القاصح (عبد الفتاح): واحات الجريد، دراسة في الجغرافية الزراعية، منشورات كلية الآداب بمنوبة، 1991.
- المرزوقي (محمد): قابس جنة الدنيا غابتها - خليجها - مدينتها - سكانها - تاريخها - رجالها، مكتبة الخانجي، مصر، 1962.
- بن سعد (عبد الله): "الاستعمالات النفعيّة للنخلة ومشتقاتها: قرقنة أنموذجاً"، قرقنة تاريخ ومجتمع، سلسلة ضفاف المتوسط، صفاقس، 2001.
- جابر (فتحي): تطوّر التراث الجزيري للأنشطة النفعيّة ضمن ثنائية النخلة والحلفاء: علوم وتراث، نور للنشر، 2016.
- خريف (البشير): الدقلة في عراجينها، تقديم الطيب صالح، دار الجنوب للنشر، 1990.
- خريف (محي الدين): "النخلة في الجنوب التونسي"، مجلة الثقافة الشعبية، عدد 9، البحرين، 2010.
- ضيف الله (محمد): نوافذ على تاريخ نفاوة، مطبعة بابيرييس، دار شعبان الفهري، تونس، 2000.
- مالك (حمودة): أبناء الظلال، دار صامد للنشر والتوزيع، صفاقس، 2001.

السمعيّة البصريّة

- L'oasis de Chenini (Gabès): Un patrimoine naturel mondial en péril/ https://www.youtube.com/watch?v=-_ZOgl9rRT0
- La campagne de rajeunir les palmiers dattiers à l'oasis de Gabes/ <https://www.youtube.com/watch?v=-App3cZ9sHE>
- Tozeur fertilisation palmier dattier.mov /<https://www.youtube.com/watch?v=fqDL3poCxeU>
- Tozeur jeune qui grimpe sur un palmier dattier.mov/ <https://www.youtube.com/watch?v=EpwyEtEx8hw>
- Artisanat du bois de palmier à Nefta (Tunisie)/ <https://www.youtube.com/watch?v=dfKSMkrgb10>
- Les palmiers à Djerba/ <https://www.youtube.com/watch?v=yjynDAaeQf4>
- Comment extraire le jus de palmier "LèGmi"/ <https://www.youtube.com/watch?v=5bKc8cwQT7w>

- المواد الوثائقية المحفوظة في المتاحف والأرشيفات والمجموعات الخاصّة

يحتوي متحف العادات والتقاليد الشعبيّة بقابس على بعض الصور للواحات في الفترة المعاصرة وبعض أدوات العمل الفلاحي ودنانات حفظ التمر، بينما يؤمّ متحف الصحراء بدوز بين معروضاته نولا عموديا من خشب النخيل وبعض الأدوات المستعملة لخرن التمر مثل "البطانة" وهي وعاء من جلد الماعز، ولتلقيح النخلة وجني التمر مثل "المحشّة".

9- معطيات تقنية حول عملية الجرد

- تاريخ البحث الميداني ومكانه

- أيام 6 و7 جويلية 2017 بواحتي قابس وشنني.
- أيام 17 و18 أوت 2017 بواحتي المطوية ووذرف.
- أيام 4 و5 و6 و7 و8 سبتمبر 2017 بواحة قبلي.
- أيام 27 و28 و29 و30 نوفمبر 2017 بولاية توزر (توزر و الحامة و نفطة و دقاش).
- بقية المناطق: فقد تسنّى إنجاز القسم الميداني على فترات متقطّعة من الربع الأخير من سنة 2017، اعتمادا على أفراد وجماعات من المجتمع المحلي.

- جامع أو جامعو المادّة الميدانيّة

- محمد عبد الرحيم، رئيس جمعية صيانة المدينة و الواحة بقابس.
- على شمس الدين، رئيس جمعية الكندي للموسيقى و البحث في الموسيقى.
- محمد الجزيراوي، ملحق بالبحوث.
- رياض بالزاوية، محافظ مستشار التراث.
- مبروكة الطبال، محافظ تراث.
- فريد خشارم، ملحق بالبحوث.
- عماد بن صالح، محافظ تراث.
- الهاشمي الحسين، باحث في التراث/ رئيس جمعية الرابطة القلميّة بمدنين.
- محمد المقدّمي، محافظ تراث.
- جمعية الكندي للموسيقى بقابس.
- جمعية صيانة مدينة توزر.
- جمعية دار الجماعة/ مزاوية جربة.

- تاريخ إدخال بيانات الجرد

15 ديسمبر 2017.

- محرّر البطاقة

- عماد صولة/ أستاذ بحوث/ أستاذ محاضر.
- فريد خشارم/ ملحق بالبحوث.
- إسمهان بن بركة/ ملحق بالبحوث.
- رياض بالزاوية/ محافظ مستشار.